الاحتباك اللغوي

(نشأته.. وأنواعه ودلالته)

د. محمود محمد خليل نصر الله

وزارة التربية التعليم .. مصر

تقديم:

ما بين الوجود والعدم أو الحضور والغياب؛ يقوم بناء الاحتباك، يذكر بعضه فهو حاضر موجود، ويحذف بعضه فهو غائب معدوم، ويدل ما ذكر على ما حذف، ويضفي ما حذف على المذكور أبعادا أخرى، يتجمل بها اللفظ، فيصبح على أحسن ما يكون من الرونق والحبك، ويتسع بها المعنى، فيصبح أتم ما يكون من الدلالة والبيان.

ومعنى ذلك أن الاحتباك ظاهرة لغوية طبيعية، تستمد وجودها من بنيتين؛ بنية حاضرة، تراها العين، وتسمعها الأذن، وأخرى عدمية غائبة، يقتضيها السياق، ويقرها المقامُ، ويمتد البصر إلى أبعد من الألفاظ والجمل المفردة؛ ويراعي ما يقتضيه السياق والمقام، وفيه يُعتد بالبناء العدمي المحذوف كما يُعتد بالبناء القائم المذكور، ويتم البحث في التراكيب -وما حولها من القرائن والإشارات، وفي السياق وما حوله من المتغيرات وألوان التداوليات، وباختصار؛ فإن في محيطه النحو والبلاغة معا يلتقيان ويتكاملان.

ومع طرافة الظاهرة من حيث المعنى والمبنى؛ فإنها لم تنل- على حد علمي- حظها من البحث والدراسة عند النحويين والبلاغيين؛ بل قد خفيت بعض جوانبها على كثير ممن تحدثوا عنها، فخلطوا بينها وبين أنواع الحذف الأخرى أحيانا، وبينها وبين بعض ألوان البديع أحيانا، واختلطت أمثلتها بأمثلة غيرها، فجاء تعريفها قاصرا، وقد كانت كل هذه العوامل من أهم الأسباب التي دعتني لاختيار الموضوع والكتابة فيه.

ومن خلال آراء الذين تحدثوا عنها، والأمثلة التي كروها، والتي يبدو فيها الوجود اللغوي والعدم اللفظي متقابلين؛ يحاول هذا البحث أن يعرف بالمصطلح في إيجاز، ويقدم شيئا عن نشأته وتطوره مشيرا إلى أشهر من تكلموا فيه، ويبين أهم أنواعه، ودلالته ومضامينه اللفظية والبلاغية، وعلاقته ببعض النظريات اللغوية الحديثة كالنصية بأبعادها

ومعاييرها المختلفة، ووسائلها المتعددة، خاصة ما يتعلق بالحبك، والتداولية، ونحو ذلك.

الاحتباك.. لغـــة:

جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد (١٥٠هـ): "حبكته بالسيف حبكا، وهو ضرب في اللحم دون العظم، ويقال: هو محبوك العُجز والمتن، إذا كان فيه استواء مع ارتفاع ... والحِباك: رباط الحصيرة بقصبات، تُعَرَّض ثم تشد، كما تحبك عروش الكرم بالحبال، واحتبكتُ إزاري شددته"[١].

وفي الصحاح للجوهري (٣٩٣هـ): "الحبك والحبيكة: الطريقة، في الرمل ونحوه، ... وحبك الثوب يحبكه حبكا، أي: أجاد نسجه، قال ابن الأعرابي: كل شيء أحكمته، وأحسنت صنعه فقد احتبكته"[٢]، وفي أساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ): "احتبك: احتزم به"[٣]، أي صار له كالحزام، وفي اللسان لابن منظور (٧١١هـ): "الحبك الشد، واحتبك بإزاره احتبى به وشده إلى يديه، ومنه أخذ الاحتباك وهو شد الإزار وإحكامه"[٤]، وفي القاموس المحيط للفيروزآبادي (٨١٦هـ): "الحبك: الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، يحبُكُه ويحبِكُه كاحتبكه، فهو حبيك ومحبوك"[٥].

---

[١] ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد. معجم العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، إيران، مطبعة الصدر، ط: ٢، ١٤١٠هـ، مادة: حبك، ٣/ ٦٦.

[٢] ـ الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط: ٤، ١٩٩٠م، مادة: حبك، ٤/ ١٥٧٨..

[٣] ـ الزمخشري، محمود بن عمر. أساس البلاغة، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٩م، مادة: حبك، ص١٥٠.

[٤] ـ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، مادة: حبك، ٣/ ٢٩٧.

[٥] ـ ابن منظور، محمد بن مكرّم القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة د. ت، مادة: حبك، ١٢/ ٢٨٩.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الذاريات: ٧، أي ذات الخَلْق المستوي الجيد، أو ذات الطُرق البديعة المحكمة، وفيها ثماني قراءات، هي: ضم الحاء والباء، وكسرهما، وفتحهما، وضم الحاء وإسكان الباء، وضم الحاء وفتح الباء، وكسر الحاء وإسكان الباء، وكسر الحاء وضم الباء، وكسر الحاء وفتح الباء، وجميعها شاذة ما عدا الأولى[1].

ويتبين مما سبق أن الاحتباك في اللغة مصدر للفعل احتبك، على وزن افتعل، وهو مأخوذ من الحبك على وزن فَعْل، الذي يدل على وقوع الشيء وتحصيله على أي وجه كان، وأما الافتعال فللمبالغة والاعتمال[2]، فإذا ذكر اللفظ قفزت إلى الذهن تلك الصورة التي نتخيلها للثوب أو ما يشبهه، وقد شدت خيوطه، واحتزم بعضها ببعض، وأُحكم نسجه، فانتظمت صنعته، وسدت فجواته، وتوازنت أطرافه؛ على أحسن ما يكون النسج، وأتم ما يكون الانتظام.

نشأة المصطلح:

لم يُعْرَف مصلح "الاحتباك" عند القدماء اتفاقا، وإنما الذي عُرف إشارات غير مباشرة، بدأت على استحياء، ثم راحت تقترب أو تبتعد، حتى وجدت لها طريقا عند بعض المفسرين، والبلاغيين، ولم تظهر عند النحويين إلا نادرا، وفيما يلي ما أمكن رصده في ذلك:

---

[1] - أبو حيان، محمد بن يوسف. البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ٨/ ١٣٤، وينظر: طنطاوي، د. محمد سيد، شيخ الأزهر. التفسير الميسر، القاهرة، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص٤٤٠.

[2] - الاستراباذي، محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن ورفيقيه، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ١/ ١٠٨.

أولا: عند النحويين:

ألمح سيبويه (٥١٨٠) إلى شيء من ذلك، وهو يتحدث عن الاتساع والإيجاز في كلام العرب، وذلك في تعليقه على قوله تعالى﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٧١، يقول: "فلم يُشبهوا بما ينعق، وإنما شُبهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى: ومثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى"، أي أن سبب الحذف في تقدير سيبويه علم المخاطب بالمعنى، فحذف من طرفي الكلام ما يدل عليه مقابله المذكور في الطرف الآخر للإيجاز[١].

وتبعه في تقدير ذلك أو قريبا منه الفراء (٥٢٠٧)، يقول: "مَثَلُ وعْظِ الذين كفروا وواعظهم كمثل الناعق"[٢]، وكذلك الزجاج (٥٣١١)، يقول: "فالمعنى مثلك يا محمد ومثلهم كمثل الناعق والمنعوق به بما لا يسمع"[٣].

وفي شرح السيرافي (٥٣٦٨) تأكيد لهذا المعنى، يقول: "ويدلك على صحة هذا أن الكفار لم يُشبهوا بما ينعق؛ لأن الذي ينعق هو الراعي، وهم لم يشبهوا به، وإنما شبهوا بالمنعوق به"[٤].

---

[١] ـ سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٧م، ١/ ٢١٢.

[٢] ـ الفراء، يحيى بن زياد. معاني القرآن، تحقيق: احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ١/ ١٠٠.

[٣] ـ الزجاج، إبراهيم بن السري. معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٣م، ١/ ٢٢٦.

[٤] ـ السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله. شرح كتاب سيبويه، تحقيق: د. محمد هاشم عبد الدايم، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ٤/ ١٨٥.

ومعنى ذلك أن هذا المثل الذي ضرب للذين كفروا يتكون من طرفين، في كل طرف عنصران، فالطرف الأول وهو المشبه مركب من الداعين ومن الذين كفروا، والطرف الثاني وهو المشبه به مركب من الذي ينعق والمنعوق به الذي لا يسمع، فحذف من الطرف الأول الداعين – رسلا كانوا أو مؤمنين- لدلالة الذي ينعق عليه، وحذف من الطرف الثاني المنعوق به الذي لا يسمع لدلالة الذين كفروا عليه، أي أنه حذف من كل طرف ما ذكر مقابله في الطرف الآخر، ودل المذكور على المحذوف.

وإذا تأملنا الآية نجد أن المذكور في أي طرف لا يصلح لأن يكون قرينا متوافقا للمذكور في الطرف الآخر، فالذين كفروا في الآية السابقة ليسوا هم الذي ينعق، وإنما هم الذي ينعق به، ولا يصلح المحذوف أيضا لأن يكون قرينا للمحذوف الآخر، فليس الذين آمنوا هم المنعوق به، وذلك يقتضي تقدير محذوف، وهو معنى قول سيبويه "لم يشبهوا بالذي ينعق"، وهو معنى الاحتباك كما استقر بعد ذلك عند المفسرين والبلاغيين.

وقد أشار أبو حيان إلى أن هذا التقدير هو اختيار جماعة من النحويين، يقول: "وذهب إلى تقرير هذا الوجه جماعة من أصحابنا، منهم الأستاذ أبو بكر بن طاهر، وتلميذه أبو الحسن بن خروف، والأستاذ أبو علي الشلوبين، وقالوا: إن العرب تستحسنه، وإنه من بديع كلامها"[1].

ثانيا: عند البلاغيين:

لم يكن علماء البلاغة القدامى أوفر حظا من النحويين، إذ لم يذكره منهم أحد، باستثناء إشارات غير مباشرة وردت عند بعضهم؛ كابن رشيق (٤٦٣هـ)، الذي أشار وهو يتحدث عما أسماه بإيجاز الاكتفاء إلى أنه قد يحذف بعض الكلام، ويكتفى ببعضه، فيدل الباقي على المحذوف، وعد الذكر هو الأصل، فيكون الحذف فرعا عليه، وجعله نوعا من أنواع المجاز،

[1] - ابو حيان. البحر المحيط، مرجع سابق، ١/ ٤٨٣.

وذكر أن بلاغته تأتي من أن نفس السامع تتسع لما فيه من الظن والحساب[1].

ومنهم ابن الأثير (٦٣٧ه)، الذي أشار إليه بأنه يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره، فيكون الآخر دليلا على الأول، وسماه بالإضمار على شريطة التفسير[2].

ومنهم ابن أبي الإصبع (٦٥٤ه)، أشار إليه بأن يضمر من القول ما يبين أحد جزئيه، وعده نوعا من أنواع الإيجاز بشكل عام[3].

ومنهم القاسم بن محمد السلجْماسي (٧٠٤ه)، الذي أشار إليه عندما عرف التناسب بأنه القول المركب من أجزاء متناسبة، نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع، أو نحو ذلك، فاجتُزئ من كل متناسبين بأحدهما؛ لقطع الدلالة مما ذُكر على ما تُرك، فهو عنده لون من ألوان التناسب القائم على الاختزال والإيجاز، وهو يرد في كلام الفصحاء، ومع ذلك يفي بالمعنى على أتم ما يراد من الكلام[4].

ومنهم ابن البناء المراكشي (٧٢١ه)، وهو يتحدث عن التناسب والتلازم بين المبتدأ والخبر، وأسماء النواسخ وأخبارها، والشرط وجوابه، يقول: "أن يكتفى بأحد المتلازمين عن الآخر"، وسماه الاكتفاء[5].

---

[1] ـ ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت،، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م، ١/٢٥١.

[2] ـ ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٠م، ٢/٨١، ٨٢.

[3] ـ ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد. بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، دار نهضة مصر، ص١٨٠.

[4] ـ السجلماسي، القاسم بن محمد. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٨٠م، ص١٩٥، ١٩٦.

[5] ـ ابن البناء المراكشي، أحمد بن محمد. الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق: رضوان بنشقرون، الدار البيضاء بالمغرب، دار النشر المغربية، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م، ص١٤.

ومنهم شهاب الدين أحمد بن يوسف الغرناطي(٧٧٩ه) في شرحه لبديعية ابن جابر الأندلسي (٧٨٠ه)، وهما المشهوران بالأعمى والبصير، يقول السيوطي (٩١١ه) مبينا موقف العلماء حتى عصره: "وقَلّ من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة، ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسي، وذكره الزركشي في البرهان، ولم يسمه بهذا الاسم؛ بل سماه الحذف المقابلي، وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي"[١].

وقد كان شهاب الدين الغرناطي من أوائل الذين ذكروا مصطلح الاحتباك صراحة، وأشار إلى قيمته البلاغية في شرحه لبديعية أبي عبد الله بن جابر، يقول: "من أنواع البديع الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أُثبت نظيره في الأول"[٢].

ثالثا: عند المفسرين:

تبدو الإشارات المبكرة إلى مفهوم الاحتباك قوية واضحة عند المفسرين، غير أن ذلك لم يكن منهم نصا أو اصطلاحا في أول الأمر، ولكنه جاء في معرض تفسيرهم لآيات الذكر الحكيم دون أن يسموه أو يصطلحوا له، بل أشاروا إليه على أنه نوع من أنواع الحذف، يجمُل به المبنى، وتتسع معه الدلالة والمعنى.

فالإمام االطبري (٣١٠ه) مثلا عند تفسير قوله تعالى﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ البقرة: ١٣٥، ذهب

---

[١] - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين. الإتقان في علوم القرآن، بيروت، دار الندوة، ١٣٧٠ه/ ١٩٥١م، ٢/ ٦١.

[٢] - الرعيني، ابو جعفر. طراز الحلة وشفاء الغلة، تحقيق: رجاء السيد الجوهري، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص٥٠٨.

إلى أن هذا القول منهم ليس على التخيير، وإنما قال أهل كل ملة قولا منفردا، فقالت اليهود للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه: كونوا هودا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فحذف من الأول تهتدوا لدلالة الثاني عليه، وحذف من الثاني كونوا لدلالة الأول عليه، وذلك هو مفهوم الاحتباك ومبناه[1].

وكذلك الأمر عند الزمخشري (٥٣٨ه) وهو أحد فرسان البلاغة القرآنية والعربية المشهورين؛ أشار إليه إشارة دون أن يصطلح له، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ يونس: ١٠٧، قال: "فإن قلت: لم ذكر المس في أحدهما، والإرادة في الثاني؟ قلت: كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا: الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير، وأنه لا راد لما يريده منهما، ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المس، وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر؛ ليدل بما ذُكر على ما تُرك"[2].

ومعنى ذلك أن الزمخشري قد ذكر طرفي الاحتباك، وقدره بأن المس والإرادة وقعا في كل طرف من طرفيه؛ فكأن المعنى: وإن يمسسك الله بضر أو يُردْك به فلا كاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير أو يردك به فلا راد لفضله، فذكر المس في الطرف الأول وحذف الإرادة، وذكر الإرادة في الطرف الثاني وحذف المس، ودل المذكور في كل طرف على المحذوف من الطرف الآخر، وذلك هو الاحتباك، ولكنه لم يذكره، ولم يسمه، مما يدل على أن المصطلح لم يكن معروفا عنده.

---

[1] ـ الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م، ٣/ ١٠١.

[2] ـ الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٣٩٢ه/ ١٩٧٢م، ٣/ ٢٥٦.

وفي إشارة لابن عطيه (٥٤١هـ) عند تفسير قوله تعالى﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٤، يقول: "تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم، والتوبة موازية لتلك الإدامة، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب، فهما درجتان: إقامة على نفاق، أو توبة منه، وعنهما ثمرتان: تعذيب أو رحمة، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هذين، ودل ما ذكر على ما ترك ذكره"[١]، وتقدير ذلك أن الطرف الأول يتكون من إقامة المنافقين على نفاقهم أو توبتهم، والطرف المقابل يتكون من تعذيبهم أو رحمتهم، فحذف من كل طرف عنصرا يقال ما ذكر.

ومن ذلك ما جاء عند الإمام الرازي (٦٠٦ه) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ غافر: ٤١، فقد ذهب إلى أن المعنى أنا أدعوكم إلى الإيمان الذي يوجب النجاة، وتدعونني إلى الكفر الذي يوجب النار"، فحذف من كل طرف ما يقابل ما ذكر في الطرف الآخر[٢].

وقريبا منه ما ذهب إليه القرطبي (ت٦٧١ه) عند بيان الحكم في قوله تعالى﴿ ... وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾ البقرة: ٢٢٨، يقول: "لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن"[٣]، فحذف "من الحقوق" في الطرفين.

---

[١] ـ ابن عطية، عبد الحق. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: أحمد صادق الملاح، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٠م، ١٢/ ٤٤.

[٢] ـ الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب، القاهرة، دار الغد العربي، ١٤١٣ه/ ١٩٩٣م، ١٣/ ٥٥٨.

[٣] ـ القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الشعب، ٢/ ٩٣١.

وكذلك الإمام النسفي (٧٠١ه) عند قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ الأعراف: ٤، يقول: "وقيل بياتا ليلا، اي ليلا وهم نائمون، او نهارا وهم قائلون"، ومعنى ذلك انه حذف من الطرف الأول "وهم نائمون" لدلالة مقابلها "وهم قائلون" في الطرف الثاني عليها، وحذف "نهارا" من الطرف الثاني لدلالة مقابلها "بياتا" في الطرف الأول عليها، وذلك هو الاحتباك[1].

ومثل ذلك نجده عند النيسابوري (٧٢٨ه) في غرائبه ورغائبه، فعند قوله تعالى﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ١١١، يقول: "والمعنى: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصارى، فضم بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق ما قاله، لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ البقرة: ١٣٥، يقول: "أن اليهود قالوا: كونوا هودا تهتدوا، والنصارى قالوا كذلك؛ لما علم من التعادي بين الفريقين"[2].

وأكثر ما نرى من تلك الإشارات وأقربها ما جاء عند أبي حيان الأندلسي (٧٥٤ه)، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٧١، ذكر في الآية وجوها كثيرة، ومنها أن المعنى: مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به، وبذلك يكون في الآية حذفان؛ حذف من الأول، وهو حذف الداعي، وقد اثبت نظيره في الثاني، وحذف من

---

[1] ـ النسفي، عبد الله بن محمد.تفسير النسفي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ٢/ ٤٥.

[2] ـ النيسابوري، الحسن بن محمد. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٨١ه/ ١٩٦٢م، ١/ ٤١٣، ٤٦٨.

الثاني، وهو حذف المنعوق به، وقد اثبت نظيره في الأول، وأشار إلى أن بعض النحويين يستحسنونه؛ لأن العرب تستحسنه، وهو من بديع كلامها[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ النمل: ١٢، يذهب إلى أن التقدير: وأدخل يدك في جيبك تدخل غير بيضاء، وأخرجها تخرج بيضاء، فحذف غير بيضاء لدلالة بيضاء عليها، وحذف وأخرجها لدلالة وأدخل[2].

وعند تفسير قوله سبحانه﴿ ... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾ البقرة: ٢٢٨، يقول: "هذا من بديع الكلام، إذ حذف شيئا من الأول اثبت نظيره في الآخر"، واثبت شيئا في الأول حذف نظيره في الآخر، وأصل التركيب: ولهن على أزواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن، فحذف على أزواجهن لإثبات عليهن، وحذف لأزواجهن لإثبات لهن"[3]، وهنا نجد أبا حيان لا يكتفي ببيان المفهوم، ولكنه يصفه بأنه من بديع الكلام.

وعند تفسير قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ الأنفال: ٦٥، يقول: "والتقييد بالصبر في أول كل شرط لفظا هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره في الأولى، وتقييد الشرط الثاني بقوله: من الذين كفروا لفظا هو محذوف من الشرط الأول في قوله يغلبوا مائتين، فانظر إلى فصاحة هذا الكلام؛ حيث أثبت قيدا من الجملة الأولى، وحذف نظيره من الثانية، وأثبت قيدا في الثانية، وحذف من الأولى"[4].

---

[1] ـ ابو حيان. البحر المحيط، مرجع سابق، ١/ ٤٨٢.
[2] ـ المرجع السابق، ١/ ٤٨٣.
[3] ـ المرجع السابق، ٢/ ١٨٩.
[4] ـ ابو حيان. البحر المحيط، مرجع سابق، ٤/ ٥١٦.

وعند قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الأحزاب: ٨، يقول: "ويجوز أن يكون حذف من الأول ما اثيب به الصادقون وهم المؤمنون وذكرت العلة، وحذف من الثاني العلة وذكر ما عوقبوا به، وكان التقدير: ليسأل الصادقين عن صدقهم فأثابهم، ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم، ... فحذف من الأول ما اثبت مقابله في الثاني، ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأول، وهذه طريقة بليغة"[1].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ الجن: ٢١، يقول: "ويمكن أن يكون المعنى: ضرا ولا نفعا، ولا غيا ولا رشدا، فحذف من كلٍ ما يدل مقابله عليه"[2].

وقريبا من ذلك ذهب ابن القيم (٧٥١ه)، فعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦، يقول: "إن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر؛ لكونه تبعا له ومعنى من معانيه، فإذا ذكر أغنى عن ذكره لأنه يفهم منه، ... فعلى هذا يكون الأصل في الآية: إن الله قريب من المحسنين، وإن رحمة الله قريبة من المحسنين، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود، وسوغ ذلك ظهور المعنى"، ثم يستطرد بأنه مسلك حسن، لطيف المنزع، دقيق على الأفهام، وهو من أسرار القرآن، وأن تقدير الكلام: إن رحمة الله قريبة، وإن الله قريب، فحذف الخبر من الأول والمبتدأ من الثاني، ودل ما ذكر على ما حذف في الموضعين[3].

وتلك الإشارات عند أبي حيان الأندلسي وابن القيم واضحة في الدلالة على معنى الاحتباك، قريبة إلى المعنى الذي استقر عند العلماء بعد

---

[1] ـ المرجع السابق، ٧/ ٢١٤.

[2] ـ المرجع السابق، ٨/ ٣٥٣.

[3] ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر. بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، ٣/ ٣٠، ٣١.

ذلك، وقد أكدا أنه من بديع الكلام وأبلغه؛ بل إن ابن القيم كان أقرب إلى أن يضع له اصطلاحا حينما ذهب إلى أنه من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر، لكونه تابعا له، ومعنى من معانيه.

وتبع المفسرين في ذلك بعض الذين تحدثوا عن علوم القرآن؛ كبدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) الذي عرفه بقوله: "أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه"، وسماه الحذف المقابلي، وفي ذلك دليل واضح على أن المصطلح لم يكن قد استقر بعد، ولكنه يشير إلى أنه يشترط فيه التقابل، ويتبين ذلك بوضوح في الأمثلة التي ذكرها[١]، وبما يقرب من كلام الزركشي عرفه الجرجاني (٨١٦هـ)، وذكره باسمه صراحة، يقول: " الاحتباك: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كلّ واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه"، ومن بعده انتشر المصطلح عند المفسرين وعلماء البلاغة وغيرهم[٢].

ومن الذين حفلوا به كثيرا الإمام البقاعي (٨٨٥هـ) في تفسيره المسمى: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وألف فيه كتابا مستقلا، يقول: "وقد جمعت فيه كتابا حسنا، ذكرت فيه تعريفه، ومأخذه من اللغة، وما حضرني من أمثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء، وسميته: الإدراك لفن الاحتباك"[٣].

وقد أشار السيوطي إلى ذلك، وعد الاحتباك من أجمل أنواع الحذف وألطفها وأبدعها وأبلغ ما يكون منها، وذكر له أمثلة مما ذكره ابن جابر الأندلسي والزركشي والبقاعي، وأضاف إليها من اختياره هو

١- الزركشي، محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٣/١٢٩- ١٣٤.

٢- الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٨٨م، ص١٢.

٣- البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١/ ٣١.

قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ ... ﴾ آل عمران: ١٣، يقول: "قلت: ومن لطيفه قوله: فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة، اي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت"[١].

ومع انتشار المصطلح واستقراره إلا أن أبا البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) في كتاب الكليات يعود ويسميه حذف المقابل، فبعد أن ذكر أنه مأخوذ من الحبك، الذي معناه الشد، والإحكام، وتحسين الصنعة في الثوب، وأنه من ألطف أنواع البديع، قال: "وقد يسمى حذف التقابل، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول"[٢].

وعلى هذا النحو من المقاربة نجد من المفسرين بعد ذلك من يذكره صراحة، ويجعل منه صنعة شائعة، ومنهم من يكتفى بالإشارة إليه، فمن الفريق الأول الألوسي (١٢٧٠هـ)، فقد ذكره في مواضع كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ يونس: ٦٧، يقول: "والتقدير: هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه، والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم، فحذف من كلٍّ ما ذُكر في الآخر اكتفاءً بالمذكور عن المتروك، وفيه على هذا صنعة الاحتباك، والآية شائعة في التمثيل بها لذلك، وهو الظاهر فيها"[٣].

---

[١] ـ السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ٢/ ٦١، ٦٢.

[٢] ـ الكفوي، أيوب بن موسى. كتاب الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م، ص٥٧.

[٣] ـ الألوسي، محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ٦/ ١٤٦.

ومنها أيضا قوله سبحانه: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ النمل: ١٢، يقول: "وقيل في الكلام حذف تقديره: وأدخل يدك في جيبك تدخل، وأخرجها تخرج، فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني، ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأول، فيكون في الكلام صنعة الاحتباك"، ولكنه عقب بأنه تكلف لا حاجة إليه[1].

وكذلك الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ)، عند تفسير آية يونس السابقة، يقول: "ولما قابل السكون في جانب الليل بالإبصار في جانب النهار، والليل والنهار ضدان، دل ذلك على أن علة السكون عدم الإبصار، وأن الإبصار يقتضي الحركة، فكان في الكلام احتباك"[2].

ومن الذين اكتفوا بالإشارة إليه دون أن يعرفوه السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ١١١، وعند قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ البقرة: ١٣٥، إذ يذكر أن في الآيتين توزيعا وتنويعا، وأن هذا التوزيع والتنويع من أساليب اللغة المعهودة عند العرب، وأن فيه اختصارا بديعا وإيجازا لا يخل بشيء من المبنى أو المعنى، يقول عند تفسير الآية الأولى: "قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى كذلك، وهو اختصار بديع غير مخل، وهذه عقيدة الفريقين إلى اليوم"، ويقول عند تفسير الآية الثانية: "أي أن اليهود يدعون إلى اليهودية التي هم عليها، ويحصرون الهداية فيها، والنصارى

---

[1] ـ .المرجع السابق، ١٠/ ١٦٣.

[2] ـ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ١١/ ٢٢٧.

يدعون إلى النصرانية التي هم عليها، ويحصرون الهداية فيها، وهذا الأسلوب معهود في اللغة"[1].

ومن المحدثين الذين ذكروه، وأشاروا إلى تعريفه، وبينوا سببه البلاغي الشيخ محمد متولي الشعراوي؛ فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ... ﴾ آل عمران: ١٣، يذكر أنه قد حذف من وصف الفئة الأولى ما يقابل وصف الفئة الثانية بالكافرة، وحذف من وصف الفئة الثانية ما يقابل وصف الأولى بأنها تقاتل في سبيل الله، فمقابل الكافرة "مؤمنة"، ومقابل في سبيل الله "في سبيل الشيطان"، يقول: "ويسمون ذلك في اللغة (احتباك)، وهو أن تحذف من الأول نظير ما أثبتّ في الثاني، وتحذف من الثاني نظير ما أثبتّ في الأول، وذلك حتى لا تكرر القول، وحتى توضح الالتحام بين القتال في سبيل الله والإيمان، والقتال في سبيل الشيطان والكفر"[2].

وبذلك نرى أن المفسرين كانوا أكثر توفيقا في أمر الاحتباك من النحويين والبلاغيين، وأنهم هم الذين مهدوا لغيرهم معرفته والوقوف على كيفية بنائه، وأشاروا إلى شروطه، وحددوا له أمثلة وشواهد من القرآن الكريم، وكلام العرب، وكشفوا ما فيه من البلاغة والبيان.

طرفا الاحتباك:

من التعريفات السابقة، وما انتهى إلينا من أقوال العلماء، وأمثلتهم؛ نرى أن الاحتباك يقوم على طرفين، وأن كل طرف يتكون في صورته البسيطة من عنصرين على الأقل، يذكر أحدهما، ويحذف نظيره من

---

[1] ـ رضا، السيد محمد رشيد. تفسير المنار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ١/ ٣٥٠، ٣٩٥.

[2] ـ الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، ١٧/ ١٣١٣.

الطرف الآخر، وللحذف أسبابه ودواعيه، ولما يذكر علاقته بعضه ببعض، وعلاقته بالمحذوف إيجابا وسلبا.

فإذا رمزنا لعناصر الصورة الثنائية البسيطة للاحتباك بالرموز (ا، ب، ج، د) على سبيل المثال؛ فإن أصل التركيب أو أصل البنية الأساسية تقع على صورة مزدوجة من التقابل، هي:

(ا+ ب) يناظر أو يقابل (ج+ د).

ولكن في البنية الظاهرة التي يخرج عليها الكلام؛ يحذف العنصر (ا) لدلالة (ج) عليه، ويحذف (د) لدلالة (ب) عليه، أو العكس، ويُستغني بما ذكر في الأول عما حذف من الثاني، وبما ذكر في الثاني عما حذف من الأول، ولو ذكرت العناصر الأربعة لأدى ذلك إلى ضعف التركيب، واختلال الحبك، وأثر سلبا في المعنى، كما أنه لا يصلح في الصناعة النحوية أن يقترن العنصران المذكوران معا أو المحذوفان، ولا يستقيم المعنى إلا بتقدير المقابل المحذوف.

ففي نحو قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ... ﴾ آل عمران: ١٣، إذا تأملنا تركيب الكلام في الآية، وعرضناه على أبنية العربية التي حددها النحاة؛ نجد أن في الكلام فجوات، تحتاج إلى أن تملأ؛ لتكتمل المقابلة، وتقدير ذلك: "قد كان لكم آية في فئتين التقتا، فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وفئة كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت، ففي كل طرف موصوف أو منعوت وله صفتان، فذكر في الطرف الأول المنعوت "فئة" وجملة النعت "تقاتل في سبيل الله"، وحذف نعتا هو: "مؤمنة"، وذكر في الطرف الآخر المنعوت ونعتا هما: "اخرى كافرة"، وهما المقابلان لما حذف في الطرف الأول، وحذف المنعوت وجملة النعت، وهما المقابلان لما ذكر، ودل المذكور على مقابله المحذوف في الموضعين، فخرج الكلام على ألطف ما يكون اللفظ، وأتم ما يكون المعنى.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ المزمل: ٨، جاء الفعل "تبتل" والمصدر "تبتيلا"، وهو ليس بمصدر له، وإنما مصدره "تبتلا"، يقال: تبتل تبتلا كتعلم تعلما، وتفهم تفهما، وأما المصدر المذكور ففعله "بتّل"، يقال: بتل تبتيلا كعلم تعليما، وفهم تفهيما، فأتى بالفعل الدال على احدهما، وبالمصدر الدال علىَ الآخر، فكأنه قيل: تبتل إليه تبتلا، وبتّل نفسك إليه تبتيلا، فحذف المصدر من الأول، والفعل من الثاني، ودل المذكور على المحذوف، وفهم المعنيان من الفعل والمصدر المذكورين، مع حسن الاختصار والإيجاز، لما فيه من التدرج والاتخاذ والتكلف والتعمل والتكرير في التبتل، ثم التكثير والمبالغة في التبتيل، فبدأ بالاتخاذ والتكلف والتعمل والتكرير الذي يفهم من معنى "تبتل تبتلا"، وانتهي إلى الكثرة والمبالغة كما يفهم من معنى "بتل تبتيلا"[1].

فإذا أردنا أن نجعل أحد الطرفين مكملا للآخر امتنع في الصناعة؛ لأنه لا يتوافق معه، فلا يصلح في المثال الأول ان توصف الفئة الأولى بما ذكر من أوصاف الفئة الثانية، وكذلك ليس "التبتيل" مصدرا للفعل "تبتل".

وتبعا لذلك؛ فإنه يمكن تركيز تحليل بناء الاحتباك في آية آل عمران السابقة كمثال لتوضيح تلك الظاهرة على النحو التالي:

- تقدير الطرف الأول قبل الحذف: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله.
- ويقابله تقدير الطرف الثاني: أخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت.
- حذف من الطرف الأول صفة، تقديرها "مؤمنة"، وبقي الموصوف وصفة.

[1] - ينظر في معاني: فعّل وتفعّل: الرضي. شرح الشافية، مرجع سابق، ١/ ٩٢، ١٠٤.

- وحذف من الثاني صفة، هي: "تقاتل في سبيل الطاغوت"، وبقي الموصوف وصفة.

- جاءت الصورة النهائية: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾

- دل المذكور في كل طرف على المحذوف في الطرف الآخر.

- لا يتوافق المذكوران معا، فلا يقال: فئة كافرة تقاتل في سبيل الله، ولا يتوافق المحذوفان، فلا يقال: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الطاغوت.

ويتكون المعنى في النهاية من دلالة مجموع ما ذكر وما حذف، سواء أكانت الدلالة من الألفاظ المذكورة مباشرة، أم من المحذوف منها، أم مما يشير إليه شيء في السياق، ومما يقتضيه المعنى ليصح الكلام ويستقيم المعنى.

ويقترب هذا التحليل من موقف الأصوليين قديما في حديثهم عن دلالة الخطاب، إذ يذهبون إلى أن الدلالة قسمان: دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، ثم يقسمون دلالة المنطوق ثلاثة أنواع، هي: دلالة العبارة، ودلالة الإشارة، ودلالة الاقتضاء، وتفهم هذه الأنواع الثلاثة مما ينطق من الألفاظ، فما يفهم من ظاهر اللفظ يسمى فائدة العبارة أو دلالة اللفظ، وما يفهم من السياق اللغوي يسمى لازم الفائدة أو دلالة الإشارة، وما لا يستقيم المعنى إلا بتقديره يسمى دلالة الاقتضاء، وأما دلالة المفهوم فهي نوعان: دلالة مفهوم الموافقة، وتسمى دلالة النص، وهي ما يفهم من المعانى موافقا لدلالة الألفاظ، ودلالة مفهوم المخالفة، وهو المسكوت عنه، أو نقيض ما يفهم من دلالة المنطوق[1].

- ومن الأصوليين من يجعل دلالة الموافقة من دلالة الألفاظ، ويقصر دلالة المفهوم على دلالة المخالفة، ينظر: أبو زهرة، محمد. أصول الفقه، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م، ص١٣٩- ١٤٨، وشعبان، زكي الدين.أصول الفقه

ففي نحو قوله تعالى: ﴿... فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ... ﴾ الإسراء: ٢٣، فإن دلالة اللفظ المباشرة تفيد النهي عن قول "أف" للوالدين معا، ودلالة الإشارة تفيد النهي عن قول ذلك لأحدهما منفردا، ودلالة الاقتضاء تفيد التحذير من حرمة ذلك القول وعقوبته، ويفهم من دلالة مفهوم الموافقة حرمة جميع أنواع الأذى الأخرى، كالسب والشتم والضرب والإهانة بأي شكل من الأشكال، وليس التحذير من الملفوظ به فحسب، ويفهم من دلالة مفهوم المخالفة أنه يجب أن يقول لهما قولا كريما، يخالف القول الذي نهي عنه، ويكون نقيضا له.

شروط الاحتباك:

من التحليل السابق يمكن أن نحدد شروط الاحتباك كما يلي:

- أن يبنى الكلام على طرفين متوازنين في اللفظ والمعنى.
- أن يحذف من كل طرف مقابل ما ذكر في الطرف الآخر.
- أن يظل الطرفان بعد الحذف متوازنين.
- أن يدل ما بقي من الكلام على ما حذف منه في الطرفين.
- أن يسد المحذوف المقدر الفجوات التي تبدو في الكلام بعد الحذف.
- لا يتوافق ما ذكر في الطرفين معا، ولا ما حذف منهما معا، فلا يصلح أن يجمع بين المذكورين، ولا بين المحذوفين، فيقال في آية آل عمران مثلا: فئة كافرة تقاتل في سبيل الله، ولا بين المحذوفين، فيقال: وأخرى مؤمنة تقاتل في سبيل الطاغوت.

الإسلامي، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٧م، ص٣٨٦، والكوراني، طه بن أحمد. شرح مختصر المنار في أصول الفقه، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، دار السلام للطباعة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص٦٢- ٦٦.

وتلتقي هذه الشروط مع المعنى اللغوي الذي استعملته العرب للفظ الاحتباك حقيقة وتقديرا، والتي يتبين منها كيف يتحقق تقدير المحذوف المقابل للمذكور؛ ليسد الفجوات التي تبدو فيه، فيتم حبك الكلام، ويشد بعضه بعضا[1].

ولكن إذا تأملنا التعريفات المتوارثة في ضوء تلك الشروط نجد أنه لايوجد منها تعريف واحد يمكن أن يستغرق الشروط جميعها، وأن منها ما يقتصر على نوع معين من أنواع الاحتباك التي سيأتي بيانها، ولا يوجد تعريف منها يشير إلى الشرط الأخير الذي يتعلق بعدم توافق المذكور في الطرفين أو المحذوف، وبذلك تبدو جميعها ناقصة غير وافية، وعندئذ نجد أنفسنا في حاجة إلى تعريف جامع، يمكن أن يكون على النحو التالي:

الاحتباك بناء لغوي، يتكون من طرفين متوازنين، يُحذف من كل طرف ما يوازن ما ذكر في الطرف الآخر، ويدل ما ذكر على ما حذف، ولا يصلح ما بقي من أحد الطرفين أو ما حذف لأن يقترن بنظيره من الطرف الآخر.

أنواع الاحتباك:

للاحتباك أنواع، تحدث عنها بعض الباحثين، وقد اختلفت كلمتهم، وتداخلت أراؤهم، ومن خلال الأمثلة التي ذكرت أرى أن يقسم إلى ستة أنواع، هي: احتباك التضاد، والتقابل، والتناظر، والتلازم، والتشبيه،

---

[1] - رمضان، د. أحمد فتحي، وعدنان عبد السلام أسعد. الاحتباك في القرآن الكريم.. رؤية بلاغية، الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد الرابع، العدد٢، ٢٠٠٦م، ص٤٢- ٧٢.

والتمثيل، وسأكتفي ببيانها في إيجاز وتوضيحها بشواهد مما أشار إليه بعضهم من القرآن الكريم، ومن كلام العرب[1].

احتباك التضاد:

يتم فيه الجمع بين لفظين متضادين، أي لا يجتمعان في وقت واحد كالليل والنهار، ويكون التضاد حقيقة أو مجازا، وإيجابا أو سلبا بين اسمين، أو فعلين، أو حرفين، أو لفظين مختلفين، فيذكر أحدهما ويحذف الآخر، أو يذكر ما يتعلق بأحدهما ويحذف ما يتعلق بالآخر؛ فإذا كان اللفظان مثبتين كالليل والنهار وأضحك وأبكى سمي طباق إيجاب، وإذا كان أحدهما مثبتا والآخر منفيا كحزن ولم يحزن سمي طباق نفي أو سلب، ويكون التضاد بين الألفاظ المفردة، ولا يكون بين التراكيب والجمل، ولقيام العلاقة بين طرفيه على التضاد سمي احتباك التضاد، ولكون المتضادين متطابقين يسمى أيضا احتباق الطباق أو المطابقة[2].

ويرد كثيرا في اللغة، ومن أمثلته حال الإيجاب بالإضافة إلى بعض ما سبق في الحديث عن نشأته عند المفسرين:

- قوله تعالى﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ إبراهيم: ٢٧، يقول البقاعي: "ذِكْرُ

---

[1] - ينظر في اختلافهم في أنواعه على سبيل المثال: الأنصاري، د. يوسف بن عبد الله. الاحتباك في نظم الدرر للبقاعي، مكة، جامعة أم القرى، بحث منشور على الشبكة الدولية "النت"، ص١٨- ٢٢، ورمضان، د. أحمد فتحي، وعدنان عبد السلام أسعد. الاحتباك في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٥١.

[2] - ينظر في معنى التطابق: السكاكي، يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، ص٢٠٠، وقلقيلة، د. عبده عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٩م، ص٣٠٨، ودويدري، محمد هاشم. شرح التلخيص في علوم البلاغة للقزويني، بيروت، دار الجيل، ط: ٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٦١ .

الثبات أولا دالٌ على ضده ثانيا، والإضلال ثانيا دليل على الهدى اولا"، فالطباق هنا واصح بين الثبات المذكور في اول الآية وضده المحذوف ثانيا، وبين الإضلال المذكور ثانيا وضده المحذوف اولا[1].

- ومثله قوله سبحانه: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ * وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٣٢ - ٣٣، يقول البقاعي ايضا: "فالآية من الاحتباك، ذكر أولا المثوى في جهنم دليلا على حذف ضده ثانيا، والاتقاء ثانيا دليلا على حذف ضده أولا"، وبيان ذلك أن التضاد أو التطابق وقع بين مثوى الكافرين، ومقابله مثوى المتقين، فذكر مثوى الكافرين في الطرف الأول، وحذف مطابقه في الطرف الثاني، وهو مثوى المتقين، وذكر المتقين في الطرف الثاني، وحذف مقابله وهو "الكافرين" في الطرف الأول[2].

- وقوله جل شأنه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ فصلت: ٥٢، يقول البقاعي: " والآية من الاحتباك، ذكر الكفر أولا دليلا على الإيمان ثانيا، والضلال ثانيا دليلا على الهدى أولا"[3].

ومن أمثلته من كلام العرب قول الأعشى الكبير:

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ ... وأخرى تداويتُ منها بها[4]

- البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١٠/ ٤١٥.
- المرجع السابق، ١٦/ ٥٠٥.
- المرجع السابق، ١٧/ ٢٢٤.
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس. الديوان، شرح وتعليق محمد محمد حسين، القاهرة، مكتبة الآداب، ص١٧٣.

وتقدير الكلام: ورُب كاسٍ شربتُ على لذة فمرضتُ، ورُب اخرى شربتُ فتداويت بها منها، فحذف مرضت من الأول لدلالة تداويت في الثاني عليها، وهما ضدان، وحذف شربت من الثاني لدلالة مثلها في الأول عليها، فهو في الأول تضاد، وفي الثاني تناظر.

وأما أمثلته حال النفي، فمنها:

- قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام: ٣٣، وتقدير الاحتباك كما يراه ابو حيان: إنه ليحزنك الكذب الذي يقولون، فلا تحزن فإنهم لا يكذبونك، يقول أبو حيان: "وفي الكلام حذف، تقديره فلا تحزن فإنهم لا يكذبونك"[1]، فبين يحزنك ولا تحزن طباق سلب.

- وقوله: ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ فصلت: ٣٨، والتقدير كما يراه البقاعي: فإن استكبروا عن العبادة ولم يسبحوا فالذين عند ربك لا يستكبرون ويسبحون، فحذف الفعل المنفي من الطرفين[2].

- وقوله: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ الليل: ١٤ - ١٨، والتقدير: لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى والذي لم يؤت ماله ولم يتزك، وسيجنبها الأتقى الذي صدق ولم يكذب ولم يتولّ والذي يؤتي ماله يتزكى، فحذف من الأول ما ذكر في الثاني، ومن الثاني ما ذكر في الأول[3].

---

[1] ـ ابو حيان. البحر المحيط، مرجع سابق، ٤/ ١١٢.

[2] ـ البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ١٧/ ١٩٦.

[3] ـ المرجع السابق، ٢٢/ ٨٨.

احتباك التقابل أو المقابلة:

وتتحق المقابلة بالجمع بين شيئين أو أكثر وضديهما أو ما يقابلها على الترتيب، وإذا اشترط في أحد الجانبين شرط اشترط مثله في الآخر، وتختلف المقابلة عن الطباق في أنها لا تقع بين لفظين مفردين، وإنما تقع في التراكيب أو بين مجموعة ألفاظ، فتكون ثنائية أو ثلاثية أو أكثر[1]، وهذا النوع مما يكثر أيضا في القرآن، ومن أمثلته:

- قوله تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر: ٢٢، يقول البقاعي: "ذكر أولا الشرح والنور دليلا على حذف ضده ثانيا، وثانيا الويل للقاسي والضلال دليلا على حذف ضده أولا"، فيكون التقدير: أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، وقلوبهم ليست قاسية، وليسوا هم في ضلال، فويل للقاسية قلوبهم الذين هم في ضلال ممن لم يشرح الله صدره للإسلام وليس على نور من ربه، فالاحتباك بين أشياء متقابلة، وليس شيئا واحدا[2].

- وقوله: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٤، وتقدير المقابلة هنا أن الذين آمنوا يسمعون القرآن الكريم ويبصرونه فهو لهم هدى وشفاء، وأما الذين الذين آمنوالا يؤمنون ففي آذانهم وقر فلا

---

[1] - السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص٢٠٠، ود. عبده قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، مرجع سابق، ص٣١٤- ٣١٨، ومحمد هاشم دويدري، شرح التلخيص، مرجع سابق، ض١٦٣.

[2] - البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ١٦/ ٤٨٦.

يسمعونه، وهو عليهم عمى فلا يكون لهم هدى ولا شفاء، فحذف من كل طرف ما ذكر في الآخر وهو شيء متعدد وليس شيئا واحدا[1].

- وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ محمد: ١ - ٢، وتقدير المقابلة ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله لم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات، والذين آمنوا وعملوا لم يكفروا ولم يصدوا عن سبيل الله، فحذف من كل طرف ما ذكر في الطرف الآخر[2].

- وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ محمد: ١٢، وتقدير المقابلة هنا أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يتمتعوا ولم يأكلوا كما تأكل الأنعام، وأن الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات، فحذف من كل طرف ما ذكر في الطرف الآخر[3].

- وقوله: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ الأعلى: ١٦ - ١٧، يقول البقاعي: "ذِكْرُ الإيثار والدنو أولا يدل على الترك والعلو وذكر الخير والبقاء ثانيا يدل على ضدهما أولا"، أي أنه ذكر أنهم يؤثرون الحياة الدنيا، وحذف ما يدل على أنها ليست خيرا ولا باقية، وحذف ما يدل على تركهم للآخرة وعلوها وذكر أنها خير وباقية[4].

---

[1] ـ المرجع السابق، ١٧/ ٢٠٧.

[2] ـ المرجع السابق، ١٨/ ١٩٩.

[3] ـ المرجع السابق، ١٨/ ٢١٥.

[4] ـ البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ٢١/ ٤٠٦.

احتباك التماثل أو التناظر:

ونعني به ما يقع فيه الحذف بين الألفاظ المتماثلة او المتناظرة، وليست المتضادة او المتقابلة، فمِثْلُ الشيء شبهه ونظيره[1]، ومن أمثلته:

- قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٦٥ - ٦٦، يقول أبو حيان: "والتقييد بالصبر في أول كل شرط لفظا هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره في الأولى، وتقييد الشرط الثاني بقوله: من الذين كفروا لفظا هو محذوف من الشرط الأول في قوله: يغلبوا مائتين، فانظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث أُثْبِت قيدٌ من الجملة الأولى وحذف نظيره من الثانية، وأُثبت قيدٌ في الثانية وحذف من الأولى"، فالمحذوف يماثل المذكور في الموضعين[2].

- وقوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٠٢، يقول البقاعي: "**فالإتيان بالواو في آخر يفهم أن المعنى: خلطوا عملا صالحا بسيئ وآخر سيئا بصالح، فهو من ألطف شاهد لنوع الاحتباك**"[3].

---

[1] - مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز، القاهرة، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، مادة: مثل، ص٥٧٢.

[2] - أبو حيان. البحر المحيط، مرجع سابق، ٤/ ٥١٦، والبقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ١١/ ٢٨٥.

[3] - البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ٩/ ١٠.

- وقوله: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ... ﴾ يونس: ٤٦، يقول البقاعي: "فالآية من الاحتباك، ذكر أولا الإراءة دليلا على حذفها ثانيا، والوفاة ثانيا دليلا على حذفها أولا"[1].

- وقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ يس: ٦٥، فالآية جاءت بذكر الكلام للأيدي والشهادة للأرجل، وكلام الأيدي شهادة، وشهادة الأرجل كلام، فحذف من كلٍ منهما ما ذكر في الآخر على سبيل الاحتباك[2].

- ومن ذلك قول أبي صخر الهذلي:

وإني لَتعروني لذكراكِ هِـزةٌ كما انتفض العصفور بلله القطْرُ[3]

والتقدير: وإني لتعروني لذكراك انتفاضة ثم هزة، كما انتفض العصفور بلله القطر ثم اهتز، فحذف انتفاضة من الطرف الأول لدلالة انتفض في الطرف الثاني عليها، وحذف اهتز من الطرف الثاني لدلالة هزة في الأول عليها، وهما متماثلان.

- ومثله قول الفرزدق يهجو جريرا:

---

[1] ـ البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ٩/ ١٣٢.

[2] ـ البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ١٦/ ١٥٧، والألوسي. روح المعاني، مرجع سابق، ٢٢/ ٧٠.

[3] ـ لصدر هذا البيت روايتان أخريان، أولاهما: وإني لتعروني لذكراك نفضة، والأخرى: إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها، وعلى هاتين الروايتين لا احتباك فيه، ينظر في الرواية الأولى: الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر، ١/ ٢٥٣، وينظر في الثانية ونسبة البيت للهذلي: حداد، د. حنا جميل. معجم ٠٩شواهد النحو الشعرية، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤م، ص٢٩٠، ولم أجده في شعر الهذليين.

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليّ عِشاري[1]

والتقدير:كم عمة فدعاء لك يا جرير، وكم خالة فدعاء لك قد حلبت علي عشاري، فحذف فدعاء الأولى لدلالة الأخرى عليها، وحذف لك الأخرى لدلالة الأولى عليها، والمحذوفان متماثلان.

احتباك التلازم أو الاقتضاء:

ويتكون كل طرف من طرفيه من شيئين متلازمين، يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر، أو يستلزم وجود أحدهما وجود الآخر، ولذلك يمكن أن يسمى احتباك الاقتضاء او احتباك الاستلزام، وصورته أن يكون في كل طرف لازم وملزوم له، فيذكر اللازم في أحد الطرفين، ويحذف ملزومه، وعلى العكس يحذف اللازم في الطرف الآخر ويذكر ملزومه، ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿...وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٢١، يقول البقاعي: "اثبت التمكين في الأرض ليدل على لازمه من الملك والتمكين من العدل، وذكر التعليم ليدل على ملزومه وهو النبوة، فدل أولا بالملزوم على اللازم، وثانيا باللازم على الملزوم"[2]، وتوضيح ذلك أن الله مكن ليوسف في الأرض بالملك، وعلمه تأويل الأحاديث بالنبوة، فذكر التمكين وحذف الملك، وذكر التعليم وحذف النبوة.

- وقوله سبحانه ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يوسف: ٤١، يقول

---

[1] - الفرزدق، همام بن غالب. الديوان، شرح وضبط وتقديم: علي ناعور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م، ص٣١٢.

[2] - البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ١٠/ ٤٩.

البقاعي: "الآية من الاحتباك، ذكر ملزوم السلامة والقرب أولا دليلا على العطب، وملزوم العطب ثانيا دليلا على السلامة أولا"[1]، فملزوم السلامة أن يعود إلى عمله، ويسقي الملك خمرا، وأما عدمها فملزومه الصلب وأكل الطير من رأسه، وحذف من كل طرف ما يدل عليه الآخر.

- وقوله: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ الحج: ٣١، يقول البقاعي: "والآية من الاحتباك، خطف الطير الملزم للتقطيع أولا دال على حذف التقطيع ثانيا، والمكان السحيق الملزوم لبلوغ الأرض ثانيا دليل على حذف ضده أولا"[2].

احتباك التشبيه أو التمثيل:

وتقوم العلاقة بين طرفيه على التشبيه، فإذا كان وجه الشبه بين الطرفين شيئا واحدا، أي انه هيئة أو صورة منتزعة من مفرد يسمى احتباك تشبيه، أما إذا كان وجه الشبه صورة مركبة منتزعة من متعدد وليس من مفرد فهو احتباك تمثيل[3].

فمثال احتباك التشبيه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ١٠٣، يقول البقاعي: "كما حق علينا إهلاك الكافرين هذا الإهلاك العظيم؛ كان حقا علينا أي بما أوجبناه على جنابنا الأعظم ننج المؤمنين؛ أي العريقين في الإيمان، ولو كانوا بعد موت

---

[1] ـ المرجع السابق، ١٠/ ٩١.

[2] ـ المرجع السابق، ١٣/ ٤٤.

[3] ـ السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص١٥٩، ود. عبده قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، مرجع سابق، ص٤٢، ٤٣، ومحمد هاشم دويدري، شرح التلخيص، مرجع سابق، ص١٣٢.

الرسل، فالآية من الاحتباك كما أشارت إليه القراءتان بالتخفيف والتثقيل"[1]، فالتشبيه بين أحقية إنجاء المؤمنين وأحقية ما يشار إليه بلفظ "كذلك"، وهو إهلاك الكافرين الذين خلوا من قبل، وتقدير الاحتباك هو: ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ونهلك الكافرين، كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ونهلك الكافرين، فحذف مقابل ما ذكر.

ومثال احتباك التمثيل:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٧١، فقد شبه الذي يدعو الكافرين وهم معرضون عن دعوته بالناعق الذي ينعق بالبهائم وهي لا تسمع، فهو تشبيه لمتعدد بمتعدد، وصورته مأخوذة من مركب، وليست من مفرد[2].

- ومثله قوله سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦١، وتقدير الاحتباك كما يراه البقاعي: ومثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل الحبة وزارعها، فذكر المنفق وحذف الزارع، وذكرت الحبة وحذفت النفقة، ووجه الشبه مضاعفة أجر النفقة

---

[1] - البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ٩/ ٢١٤، والتخفيف بكسر جيم الفعل " ننج" دون تشديد وإسكان نونه، والتثقيل بالكسر والتشديد وفتح النون، وهما قراءتان عشريتان، قرأ بالتخفيف وإسكان النون الكسائي ويعقوب وحفص عن عاصم، وبالتثقيل الباقون من العشرة، ينظر: القاضي، عبد الفتاح عبد الغني. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، القاهرة، دار السلام للطباعة، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٤م، ص٢٢٨.

[2] - .البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ٢/ ٣٣٤، والدرويش، محي الدين. إعراب القرآن الكريم وبيانه، بيروت، دار اليمامة ودار ابن كثير، "٧، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م، ١/ ٢١٧.

كما تضاعف الحبة، والصورة مركبة؛ لأنها من متعدد، فهو تشبيه تمثيلي، وعليه قام بناء الاحتباك[1].

- وقوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞ ... ﴾ البقرة: ٢٦٥، والتقدير كما يراه البقاعي أن ذكر المنفق أولا دالّ على حذف صاحب الجنة ثانيا، وذكر الجنة ثانيا دالّ على حذف النفقة أولا، والصورة مأخوذة من متعدد، فالمشبه هو المنفق ابتغاء مرضات الله ونفقته، والمشبه به صاحب الجنة وجنته عندما يصيبها الوابل فتؤتي أكلها ضعفين، فهو تشبيه تمثيلي، وعليه بني الاحتباك.

دلالة الاحتباك وبلاغته:

يُعد الاحتباك لونا من ألوان الحذف التي تحدث عنها النحويون والبلاغيون باستفاضة، ورأوا أنها من أهم ألوان الفصاحة والبلاغة، فابن جني (٥٣٩٢) يرى أن الحذف من شجاعة العربية، يقول: "باب في شجاعة العربية: اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف..."[2]، ووصفه عبد القاهر الجرجاني (٥٤٧١) بأنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، يُرى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وأن المتحدث انطق ما يكون إذا لم ينطق، وأتم ما يكون بيانا إذا لم يُبِن[3].

---

[1] ـ .البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ٤/ ٧٥.

[2] ـ .ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة النشر، نسخة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، ٢/ ٣٦٠.

[3] ـ الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، وجدة، دار المدني، ط٣، ٥١٤١٣/ ١٩٩٢م، ص١٤٦. =

ويعد أيضا وسيلة من وسائل الإيجاز والتخفيف، وبه يمتلئ السياق بالدلالات التي تزيد كثيرا على ما يفهم من المنطوق، ولا يمكن فنيا أن نحصر مواضع هذا الإيجاز أو ذلك الحذف، أو نقعد لها؛ لأنها تدرك من الموقف الحاضر دون غيره، وما فعله البلاغيون من حصر لبعض تلك المواضع وبيان أسبابها لا يعدو أن يكون أمثلة على الطريق، وعلى الباحث أن يستشف ذلك من النسق العام للتراكيب[1].

وفي أسلوب الاحتباك على وجه الخصوص؛ نجد أن للفظ الحاضر دلالة، ولمقابله الغائب دلالة أخرى، وبهما معا تكتمل الدلالة اللفظية، أو الشكلية، أو الظاهرة، ولكن يبقى المعنى النهائي في حاجة إلى دلالة المقام وما يقتضيه السياق، أو ما يستلزمه الخطاب؛ ليتبين المعنى كاملا، ويتضح ما يرمي إليه المتكلم من وراء الخطاب أو الكلام.

ومن خلال الاحتباك يمكن التوصل إلى أوسع المعاني بأقل الكلام، وتلك مزيّة في العربية، فللعدم دلالة لا تقل عن دلالة الوجود، تدعو إلى توقد ذهن المتلقي وتفاعله مع المتكلم ليكون شريكا له، فلا يستقبل ما يصل إليه من إشارات لفظية وسياقية بتسليم وإذعان، وإنما يستقبلها بالمشاركة والاعتمال ومحاولة استحضار بعض الدوال والمفاهيم الغائبة ليملأ الفراغ، ويقدر المحذوف وفقا لما تستلزمه الألفاظ، وتقتضيه المعانى.

وفيه نوع من الاقتصاد في الوقت والجهد لدى المرسل والمستقبل، إذ يحققنا غرضهما بأقل جهد يبذل وفي أقل وقت يمكن، وفيه إحساس من المتلقي بالانتصار على الغائب المعدوم، وذلك بتقديره واستحضاره، فيشعر بنشوة الفرحة ولذة الوصول إلى المقصود بعد المعاناة.

---

[1] - عيد، د. رجاء. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، الإسكندرية، منشأة المعارف الحديثة، ص٨١.

وفيه جمال التضاد والمقابلة والتناظر والتشبيه والتمثيل والتلازم مما بسطه النحويون والبلاغيون العرب في كتبهم لكل هذه الألوان والفنون الكلامية المختلفة، وما تشير إليه من فصاحة وبلاغة وبديع ودلالة بيان.

وهو خير دليل على أن علماء العربية كانوا أسبق من غيرهم وأفطن إلى معرفة ما يؤدي إلى حبك الكلام وتماسك النصوص، وأنهم قد أسسوا لكثير من القواعد التى يظن أنها اكتشاف حديث أو صناعة أجنبية وافدة، وهي بضاعة ذات أصول عربية خالصة، ردت إلينا بعد طول غياب.

وفيه أيضا من الحسن والطرافة واللطافة ما فيه، ولذلك عدوه لونا من ألوان البديع، ووصفوه بما يشير إلى هذه المعاني، فلم يكتفوا ببيان المعنى وتعلقه بالمذكور من الألفاظ أو المحذوف منها، أو الوقوف عند الجمل وعلاقاتها، ولكنهم تخطوا ذلك إلى آفاق أبعد وأرحب من الألفاظ والجمل؛ ليرصدوا المسكوت عنه في النص، وهو ما يعرف عند الأصوليين بمفهوم المخالفة.

الخاتمة:

لقد حاولت هذه الدراسة أن تقدم تصورا عن جانب من الجوانب التي لم يسلط عليها الضوء من تراثنا النحوي والبلاغي، فعرفت بالاحتباك من حيث اللغة، ونشأته من حيث الاصطلاح، وتاريخ هذه النشأة، وأشهر من تكلموا فيه من النحاة والبلاغيين والمفسرين، ووضعت له تعريفا جديدا، وحددت شروطه، وأنواعه من وجهة نظر الباحث، وأشارت إلى ما فيه من المعاني والبلاغة والبديع.

وفيما يلي بيان ذلك:

- تبين من الدراسة اللغوية أن الاحتباك افتعال من الحبك الذي يعني دقة النسج وملء الفراغات في المحبوك ليبدو على أفضل ما يكون من الرونق والجمال.

- وتبين كذلك أن الاحتباك بناء لغوي من طرفين متوازنين، يذكر بعضه ويحذف بعضه، فيدل المذكور على المحذوف.

- وتبين كذلك أنه لون من ألوان الحذف، ولكنه يتحقق بشروط معينة على النحو الذي سبق، فليس كل حذف يعد احتباكا، ولكن كل احتباك هو حذف.

- تبين من البحث أن العلماء العرب والمسلمون قد فطنوا قبل غيرهم إلى أهمية الاحتباك بوصفه نوعا من أنواع الحذف، وإلى دوره في تحقيق تماسك النصوص، وجعلوه دليلا على شجاعة العربية، وأشاروا إلى أنه ألطف ما يكون من البيان وحسن النظم.

- تبين أيضا أن المفسرين كانوا أوفر حظا من غيرهم في التعرف على فن الاحتباك، فهم الذين عنوا به في مواضع كثيرة، ومهدوا الطريق أمام غيرهم لبسط قواعده وأصوله.

- من استقراءات الباحث حدد للاحتباك عدة أنواع من أهمها: احتباك التضاد، والمقابلة، والتماثل، والتلازم، والتشبيه أو التمثيل.

- تبين من الأمثلة التي تناولوها أن الاحتباك يؤدي إلى توقد الذهن لدى المستمع، فيحاول أن يكون شريكا للمتكلم في ملء فراغات النص، وتقدير الغائب من الكلام، واحتمالات المعنى وفقا لما يقتضيه السياق.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثيرّ، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٠م.

- الاستراباذي، محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن ورفيقيه، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥ه/ ١٩٧٥م.

- ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد. بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.

- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس. الديوان، شرح: محمد محمد حسين، القاهرة، مكتبة الآداب،د.ت.

. الألوسي، محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المَثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه.

. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.

. الأنصاري، د. يوسف بن عبد الله. الاحتباك في نظم الدرر للبقاعي، مكة، جامعة أم القرى، بحث منشور على الشبكة الدولية "النت".

. البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤م.

. ابن البناء المراكشي، أحمد بن محمد. الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق: رضوان بنشقرون، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م.

. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، وجدة، دار المدني، ط٣، ١٤١٣ه/ ١٩٩٢م.

. الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٨٨م.

. ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة النشر، نسخة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.

. الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط: ٤، ١٩٩٠م.

. حداد، د. حنا جميل. معجم شواهد النحو الشعرية، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤م.

ـ أبو حيان، محمد بن يوسف. البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨ه/ ١٩٧٨م.

. الدرويش، محي الدين. إعراب القرآن الكريم وبيانه، بيروت، دار اليمامة ودار ابن كثير، "٧، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م.

. دويدري، محمد هاشم. شرح التلخيص في علوم البلاغة للقزويني، بيروت، دار إلجيل، ط: ٢، ١٤٠٢ه/ ١٩٨٢م.

ـ الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب، القاهرة، دار الغد العربي، ١٤١٣ه/ ١٩٩٣م.

. ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت،، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.

· رضا، السيد محمد رشيد. تفسير المنار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

. الرعيني، أبو جعفر. طراز الحلة وشفاء الغلة، تحقيق: رجاء السيد الجوهري، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د. ت.

. رمضان، د. أحمد فتحي، وعدنان عبد السلام أسعد. الاحتباك في القرآن الكريم.. رؤية بلاغية، الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد الرابع، العدد٢، ٢٠٠٦م.

. الزجاج، إبراهيم بن السري. معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٣م.

. الزركشي، محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل،١٤٠٨ه/١٩٨٨م.

. الزمخشري، محمود بن عمر:

- أساس البلاغة، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٩م.

- الكشاف، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٣٩٢ه/ ١٩٧٢م.

. أبو زهرة، محمد. أصول الفقه، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٧٧ه- ١٩٥٨م.

. السجلماسي، القاسم بن محمد. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٨٠م.

. السكاكي، يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٣٥٦ه/ ١٩٣٧م.

. سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٧م.

ـ السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله. شرح كتاب سيبويه، تحقيق: د. محمد هاشم عبد الدايم، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٠ه/ ٢٠٠٩م.

ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين. الإتقان في علوم القرآن، بيروت، دار الندوة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

. شعبان، زكي الدين.أصول الفقه الإسلامي، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٧م.

. الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، د. ت

ـ الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م.

. طنطاوي، د. محمد سيد، شيخ الأزهر. التفسير الميسر، القاهرة، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

ـ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

. ابن عطية، عبد الحق. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: أحمد صادق الملاح، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٠م.

. عيد، د. رجاء. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، الإسكندرية، منشأة المعارف الحديثة، د. ت.

. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. معجم العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، إيران، مطبعة الصدر، ط: ٢، ١٤١٠هـ.

. الفراء، يحيى بن زياد. معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

. الفرزدق، همام بن غالب. الديوان، شرح وضبط وتقديم: علي ناعور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

. القاضي، عبد الفتاح عبد الغني. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، القاهرة، دار السلام للطباعة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الشعب، د. ت.

. قلقيلة، د. عبده عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٩م.

. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.

. الكفوي، أيوب بن موسى. كتاب الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.

. الكوراني، طه بن أحمد. شرح مختصر المنار في أصول الفقه، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، دار السلام للطباعة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

. مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز، القاهرة، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

. ابن منظور، محمد بن مكرم القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

. النسفي، عبد الله بن محمد.تفسير النسفي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د. ت.

- النيسابوري، الحسن بن محمد. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.